المشكلات الاقتصادية و مواجهتها في ضوء القرآن الكريم

أ. م. د. أمل كاظم زوير

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات / قسم علوم القرآن الكريم

المستخلص

إن أمتنا المسلمة تعيش أزمات متتابعة، فأزمات في العقيدة والفكر، ومشكلات في السياسة والعلاقات الدولية، ومن تلك الأزمات والمشكلات التي شبَّت عن الطوق، وتفاقمَ الحديث عنها: المشكلات الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية. ولا سيما في عصر العولمة الاقتصادية ، حتى أصبح العامل الاقتصادي أبرز العوامل في قِيام الحكومات أو سقوطها، ونجاح السياسات أو إخفاقها، واشتعال الثورات أو خمودها، وكثير من حروب العصر الدائرة في قارات العالم الآن تكون ذات طابع اقتصادي .

ومن هذا المنطلق، أحببتُ أن أُدلِي بدلوي، وأفرغ طاقتي، كتابة وبحثًا حول هذه القضية المعاصرة ولكن من منظور قرآني ، وإن كنت أرى أن موضوع البحث كبير جدا، ويحتاج لدراسات متعددة، تتناول زواياه وفروعه بالبحث العميق، والتأمل الدقيق .

والمنهج الذي اتبعته في دراستي لهذا الموضوع هو المنهج التحليلي ،: بذكر الأسباب التي أدَّت لوجود تلك الإشكالية الاقتصادية، ومن ثَمَّ التفكير بطرق العلاج لها في ضوء القرآن الكريم .

وأبرز المشكلات التي تناولتها بالبحث والدراسة هي : مشكلة الفقر والبطالة ، وسبل معالجتهما في ضوء النصوص القرآنية . إ ذ وردت آيات قرآنية عديدة تحث وترغب في العمل والسعي والضرب والمشي في الأرض وتعميرها. واستغلال جميع الموارد التي أوجدها الله تعالى فيها ، فضلا عن التكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع ، وهذه جميعها من اساليب معالجة الفقر والبطالة ، ومن ذلك على سبيل المثال ، لا الحصر ، قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض)، سورة البقرة : من الآية : ٢٦٧ .

وقوله سبحانه : (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) سورة الملك الآية ١٥.

وقال تعالى : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) سورة الجمعة : من الآية : ١٠

الكلمات الافتتاحية : المشكلة : الفقر : البطالة : الاقتصاد

extract

Our Muslim nation is experiencing successive crises, crises in belief and thought, and problems in politics and international relations, and among those crises and problems that have arisen from the cordon, and the talk about them has increased: the economic problems in Islamic societies. Especially in the era of economic globalization, to the extent that the economic factor has become the most prominent factor in the rise or fall of governments, the success or failure of policies, the ignition or stagnation of revolutions, and many of the wars of the era taking place in the continents of the world now are of an economic nature

From this point of view, I wanted to make my point, and devote my energy, in writing and research on this contemporary issue, but from a Quranic perspective, and if I see that the subject of the research is very large, and it requires multiple studies, dealing with its angles and branches with deep research, and careful contemplation

As for the method that I followed in my study of this subject, it is the analytical method: by mentioning the reasons that led to the existence of this economic problem, and then thinking about ways to treat it.

The most prominent problems that I dealt with in research and study are: the problem of poverty and unemployment, and ways to address them in the light of the Qur'anic texts.

There are many Quranic verses urging and desiring to work, strive, beat, walk in the land and build it. And the exploitation of all the resources that God Almighty has created in it, as well as social solidarity among the members of society. From the earth) Surat Al-Baqarah: From verse: 267.

And He, Glory be to Him, says: (It is He who has made the earth subservient to you, so walk in its paths and eat of His provision, and to Him is the resurrection) Surah Al-Mulk verse 15.

And the Almighty said: (When the prayer is over, spread out in the land and seek God's grace) Surah Al-Jumu'ah: From verse: 10.

Opening words: the problem: poverty: unemployment: the economy

١. المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي قال في محكم آياته: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾التوبة: ١٠٥. الإسلام دين يدعو إلى كما أنه ينظم للإنسان حياته الدنيا بكل جوانبها الدينية، الاجتماعية، النفسية، الإخلاقية، الاقتصادية، المعاملات، وغيرها من جوانب الحياة، حيث قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ سورة الإسراء: ٩، وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩ ، إن المشكلات الاقتصاديَّة في عصرنا تحتلُّ مكان الصدارة بالنسبة لغيرها من المشكلات، وهي في التصور الإسلامي ليست حتمية بيئية ، وليست حتمية تاريخية ، وإنما مشكلة سلوكية يتسبب فيها الإنسان ، ولعل أبرزها ، مشكلتي الفقر والبطالة . وهما مشكلتان مترابطتان، كما أنّهما تعكسان الحالة العامة لاقتصاد الدولة. ومع تطوّر المجتمعات وتزايد عدد السكان، أصبحت البطالة والفقر من أهمّ القضايا الاقتصادية والاجتماعية المتلازمة الّتي تشغل بال الحكومات والمنظمات الدولية المتخصّصة في التنمية الاجتماعية، وذلك لأهميتها وتأثيرها على نسبة كبيرة من أفراد المجتمع. لذلك فإن الهدف من هذا البحث هو دراسة هاتين المشكلتين دراسة وصفية وتحليلية ، وايجاد الحلول لهما ولكن في ضوء القرآن الكريم .

٢. التمهيد

تعد المشكلات الاقتصاديَّة وفق التصور الإسلامي مشكلة سلوكية يتسبب فيها الفرد والجماعات حين يكسل الانسان عن استغلال موارد بيئته، وهي مشكلة سلوكية حين يفرّط في الاستهلاك ويتجاوز الحد اللازم لكفايته، وهي مشكلة سلوكية أيضاً حينما تسود الأثرة والظلم توزيع الثروة والموارد ، والمشكلة أيضاً مشكلة سلوكية حين يتجاوز الإنسان على مجتمعه فيعطل أدوات هذا المجتمع التي تيسر النشاط الاقتصادي (اكتناز النقد)، وهي مشكلة سلوكية أيضاً حين يُعمد إلى محاولة ابتزاز المجتمع فلا يعيد إليه أداته (النقود) إلا بمقابل فائدة أو ربا. ثم أن المشكلة بعد ذلك مشكلة مؤسسية تنجم عن تنصل الدولة عن أداء وظيفتها في الضمان الاجتماعي وفي إعادة التوزيع من خلال إنفاذ أحكام الزكاة وتصفية الربا. وأبرز المشكلات الاقتصادية هما الفقر والبطالة .

٣. المشكلة الأولى: الفقر .

إنَّ أوَّل المشكلات انتشارًا في أوساط المجتمعات الفقر ، وهو تحدٍّ كبيرٌ يُواجِه العالم الاقتصادي اليوم، ولخُطُورة انتِشار مثل هذا المشكلة استَعاذ منه النبي- عليه الصلاة والسلام - وقرَنَه بالكفر؛ فقال - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((اللهم إنِّي أعوذ بك من الكُفر والفقر)) ، حتَّى قال الصحابي الجليل أنس بن مالك - رضِي الله عنه - : "كاد الفقر أن يكون كفرًا" ، ويكفي أن نقول: إنَّه قد أثَّر الفقر المُدقِع في أخلاق كثيرٍ من المسلمين وسلوكيَّاتهم، فتفشَّت فيهم أمراض خلقية عديدة؛ مثل: الذل، وفقْد الثقة في النفس، ومثل: الرشوة، والتحايُل، والحسد . فالفقر خطر يهدد المجتمع من أكثر من وجه. يهدده بخروج الفقراء على شرائعه السماوية والوضعية، وبالتحلل من كل المبادئ والاخلاق السامية .

٤. أسباب الفقر:

يُمكِنني أن أقول بأنَّ لذلك أسبابًا عدَّة، ومنها أسباب تقع خارج إطار الفقراء، وأسباب بسبب الفقراء أنفسهم، ويُمكِن إجمال الأسباب بأنَّها: أسباب سياسية، وأسباب اجتماعية، وأسباب اقتصاديَّة. ولكنَّنا سنُناقِش الأسباب بطريقةٍ أخرى، فنقول: هي أسباب داخلية، وأسباب خارجيَّة.

٤ . ١ . الأسباب الخارجية:

أمَّا الأسباب الخارجيَّة فيُقصَد بها تلك التي تكون خارج دائرة الفقراء، بل هي مفروضة عليهم، وهي على النحو الآتي - ولن أُطِيل عند كلِّ واحدةٍ منها إلاَّ بما يقتَضِي -:

٤. ١. ١. الذنوب والمعاصي:

قد يستغرب متخصِّص في الاقتصاد كيف نُدخِل قضية الذنوب والمعاصي، وندَّعِي أنَّه أحد أهم الأسباب بل أوَّل الأسباب ذكرًا؟ بيد أنَّ الأمر في الحقيقة واضح، فمَن أطاع الشيطان واتَّبَع ما يغضب الله، وابتَعَد عن الصدقات

والإحسان إلى الغير وإيتاء الزكاة، وبات شحيحًا بخيلاً جموعًا منوعًا، فإنَّه سيَتَعَرَّض للفقر، وقد يُبتَلَى به، فالله - تعالى - يقول: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

جاء في "تفسير القرطبي" عند قوله - تعالى -: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ ما نصُّه: "﴿ يَعِدُكُم ﴾ معناه: يخوِّفكم ﴿ الفَقْرَ ﴾؛ أي: بالفقر؛ لئلا تُنفِقوا، فهذه الآية متَّصِلة بما قبل، وإنَّ الشيطان له مدْخلٌ في التثْبيط للإنسان عن الإنفاق في سبيل الله، وهو مع ذلك يأمر بالفحشاء وهي المعاصي والإنفاق فيها، وقيل: أي بألاَّ تتصدَّقوا فتعصوا وتتقاطعوا ، ويقول - تعالى -: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]، وسبب الجوع والخوف هو الإعراض عن طاعة الله، وعدم شكره على نِعَمِهِ الوفيرة!

وبما أنَّ من المعلوم أنَّ الشكر قَيدُ النِّعَم، وأنَّ النعمة إذا شُكِرَت قرَّت، وإن كُفِرت فرَّت، فمن اللازم والواجب على عِباد الله أن يشكروا نعمة الله عليهم؛ لئلاَّ يُحرَموا منها، ولا يكون حالهم كحال أصحاب مملكة سبأ، والذي جعَلَهم الله - تعالى - لنا آية وعبرة وعظة لِمَن كان له سَمْعٌ؛ حيث يقول - تعالى -: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٩].

وهنا نلحَظ أنَّ أهل سبأ كانوا في غنى وعيش حسن، وحياة الرفاهية والترف، لكنَّهم أعرضوا عن شكر نعمة ربِّهم، وتنكَّبوا طريق الهداية، فجازاهم الله - تعالى - بذلك خَراب مَحلَّتِهم، وكل ذلك بسبب الذنوب والمعاصي، والذي أخبر رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّ لها دورًا أكيدًا في حرمان الرزق؛ فقال - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((وإنَّ العبد ليُحرَم الرزق بالذنب يصيبه))[١٩].

٤. ١. ٢.الظلم:

فهو رأس كلِّ بليَّة، ومصبُّ كلِّ رزيَّة، ويمكننا أن نقول: إنَّ غالب الأسباب تندَرِج تحت إطاره، وتنطَوي داخل جلبابه ، فمن الظلم عدمُ العدالة في التوزيع؛ حيث أدَّى إلى نفور الناس واحتقار قوانين الدولة، وإجحاف جمعٍ من الناس غير قليلين، بإعطاء آخَرين نصيبًا أكثر من المال، والآخرون لا يأخذون إلاَّ القليل!

ولعلَّ ما يشهد لذلك ويُمكن الاقتصار عليه لوُضُوح هذه النُّقطة، تلك الدِّراسة البحثيَّة التي أعدَّها أستاذ العلوم التَّربوية والنفسية في كلية التربية الأساسية إحدى الجامعات بالعراق الدكتور عبدالسلام جودت؛ حيث ذكر أنَّ "أبرز الأسباب التي أدَّت إلى ارتفاع معدلات الفقر والبطالة في المجتمع العراقي جاءتْ نتيجة للسياسات الخاطئة التي انتهجَتْها الحكومات السابقة طوال العُقُود الأربعة الأخيرة، وخاصَّة الحروب المتتالية التي خاضَها النظام السابق، والافتِقار إلى إستراتيجية متكاملة لبناء الاقتصاد العراقي من قِبَلِ الحكومات التي أعقبت سقوط النظام، فضلاً عن انتشار مظاهر العُنف والفساد المالي والإداري .

٤. ١. ٣.استئثار الأغنياء بالمال وحرمانه الفقراء:

وذلك بحَجْزهم وتنمُّرهم على الأموال، وحرمان أغلبيَّة المجتمع من الفقراء والمحتاجين، ما أدَّى إلى أن يعيش المجتمع في طبقتين وشريحتين، كلٌّ منهما لا تختلط بالأخرى إلاَّ لِمامًا

إنَّ كثيرًا من الأغنياء يُفَرِّطون في بذل الصدقات، وإنفاق الزكاة الواجبة في مالهم، ويحملهم الجشَع والطمع على أن يستأثروا بمالهم وحدَهم، مع أنَّهم يعلمون أنَّ هذا المال هو مال الله، وهو الذي تفضَّل عليهم به، فمَن ادَّعى أنَّ هذا المال لم يكن إلاَّ بسبب قوَّته، فعليه أن يخشى من أن يكون هذا المال وبالاً ودمارًا عليه:

ولنا في قصَّة قارون خيرُ دليلٍ ومثالٍ على ذلك؛ قصَّة قارون الذي ادَّعى أنَّ جمع هذا المال كان بسبب ذكائه ومهارته، ولم يعزُ الفضل لله وحدَه، وآيات القرآن الكريم قد شرحت حاله مع ماله، وكيف صار مآله؛ حيث قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص: ٧٦ - ٨٢].

فقارون قد آتاه الله من الأموال الشيءَ العظيم، وكان عليه أن يشكر نعمة الله عليه، وأن يُطِيع ربَّه - تعالى - ويبتعد عن معصيته، ويُحسِن للآخَرين من المساكين والفقراء والمحتاجين كما أحسن الله إليه، ولكنَّه أبى واستَكبَر وأعرَض، وادَّعى أنَّ هذا المال إنما جاءَه بسبب قوَّته وذكائه، فحرَمه الله - تعالى - منه، وخسَف الله به وبداره الأرض، وكان آيةً للناس أجمعين.

٤. ١. ٤. قُصُور الإنتاج بعدم استغلال الموارد الطبيعيَّة:

مع أنَّ الأرض ملأى بالخزائن، وبركات السماء تَنهال وتنهَمِر، ومع ذلك تفرط الكثير من الحكومات من الاستِفادة من هذه الثروات والمواد الخام.

لقد قال الله - تعالى - في مُحكم التنزيل: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠].

ومع هذا نجد التفريط الكبير، والتقصير الواضح لحسن استِغلال هذه الموارد الطبيعيَّة، ويدخل في ذلك "قضية الأمن الغذائي للعالم الإسلامي؛ إذ تعتمد الأمَّة في نسبة كبيرة من غذائها على دول أجنبية لا تَدِين بالإسلام، وقد تصل هذه النسبة في بعض الدول إلى ٧٠ % .

٤. ١. ٥. الحروب والدمار والقتل:

وهذا أمرٌ مُلاحَظ في البلاد التي حلَّت بها الحروب؛ كفلسطين، وأفغانستان، والعراق، والصومال، والشيشان، وكشمير، وغيرها من بلاد الإسلام، وانعكس ذلك على شعوب المنطقة.

٦ - سوء توزيع الثروة والدخل:

سُوء توزيع الثروة والموارد والمدْخولات في هيْكلة خزائن الدول له دورٌ أكيد في إيجاد مشكلة الفقر، فليست المشكلة في قلَّة الموارد في البلاد الإسلاميَّة، وإنما سوء استعمالها والتعامُل معها وسوء توزيعها.

٤. ٢. الأسباب الخاصة بالفقراء:

وأمَّا الأسباب الخاصة بالفقراء، والتي كان لهم دور رئيس في الاكتواء بنار الفقر، فكما يلي:

٤. ٢. ١. الكسل:

كثيرٌ من الفقراء والمُعوِزين يأنسون بحالة الكسل، فلا يطلبون الرزق على أوجه مُباحَة،

وكم رأينا وسمعنا أناسًا يتسوَّلون من الآخرين، وهم بأتَمِّ صحَّة وعافية، ولكن الكسل أو العجز حجَزَهم عن المُضِيّ في طلب الرزق! مع أنَّه - سبحانه وتعالى - حَثَّ على طلب الرزق؛ فقال: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ [الملك: ١٥]، وقال - تعالى -: ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

٤. ٢. ٢. ضعف الهمَّة والدونية، وعدم السَّعي في تطلُّب العمل:

نجد كثيرًا من الفقراء والمُعوزين قد أَنِسُوا لفقرهم، وقَلَّ منهم مَن يكون عِصاميًّا، فيعتَمِد على نفسه ويقوم ساعيًا في قضاء حوائجه.

فأنسوا بحالة الفقر ومسألة الناس، واستراحوا لحالة الضعة والضَّياع التي يعيشونها، وصار حالهم كحال مَن حدَّثَتْنا كتب التاريخ عنهم من بعض العَبِيد والإماء من أهل الرِّقّ، الذين إنْ أراد أسيادهم أن يعتقوهم لوجه الله، طلبوا منهم ألاَّ يفعلوا ذلك لأنهم عاشوا في ظروف العبوديَّة ولم يستطيعوا الانفكاك عنها قيد أنملة!

٤. ٢. ٣. الربا:

فالمُتابِع لحالِ كثيرٍ من الفقراء والمُعوزين، يجد كثيرًا منهم وقَع بهذه الآفة (الفقر)؛ بسبب ارتِباطه بتلك البنوك الربويَّة التي قصمت ماله، وكسرت ظهره، وأثقلَتْه بوابِلٍ من الديون والهموم، وأخذَتْه عبر طرق غير مشروعة .

٥. طرق العلاج:

ولكل ما تقدم فإن البناء التشريعي والمؤسسي الإسلامي جاء يحتوي هذه الميول السلوكية والثغرات المؤسسية التي تتسبب في وجود المشكلة من خلال سيل من الأحكام والمؤسسات التي يجندها لهذا الغرض نذكر منها على سبيل التمثيل لا الاستقصاء:

يقول علماؤنا: "التصرُّف ناتج عن التصوُّر"، فمَن أحسن التصوُّر للشيء فقد أدرك حسن العمل، ومَن أساء التصوُّر له فقد أساء التصرُّف.

ما يدلُّ على أنَّ الإسلام اعتنى عنايةً فائقة بالفقراء والمُعوزين والمحتاجين، ولكنَّه مع ذلك لم يجعل لهم الأخذ من الناس ديدنًا، بل هنالك طرق عديدة شرعية ومشروعة لمعالجة الفقر والاستفادة منها، وذلك من قبيل:

٥. ١. الالتجاء بالدعاء لمالك الأرض والسماء:

فلقد حثَّ الإسلام على الدعاء بطلب الغِنَى، وجاءت في ذلك النصوص الكثيرة عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقد كان من دعاء رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((اللهم إني أسألك الهدى والتُّقى، والعَفاف والغِنَى)) ، ومن أدعية الصباح والمساء: ((اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملاً صالحًا متقبلاً)) ، وكذلك جاء الحثُّ على الدعاء بالاستعاذة من الفقر، بل قرنه رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - في تعوُّذه بالكفر؛ فعن أبي بكر مرفوعًا: ((اللهمَّ إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت))؛ رواه أبو داود.

ونرى تلك المحاربة واضحة في مثل قول النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - : ((اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ منَ الجوع؛ فإنَّهُ بئسَ الضَّجيعُ))؛ رواه أبو داود والنسائي ،وجاء كذلك الدُّعاء من الاستعاذة بفتنتَي الغِنَى والفقر؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - كان يتعوَّذ: ((اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، ومن عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة الغِنَى، وأعوذ بك من فتنة الفقر))؛ رواه البخاري.

٥. ٢. الإيمان بالله وتقواه واستغفاره:

وإنَّ هذا مِن أعظم الحُلُول النافعة لعلاج مشاكل الفقر، والنصوص على ذلك متواترة شاهدة بصدق ما نقوله، ويوضح ذلك عدد من آيات الذكر الحكيم؛ حيث يقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٥ - ٦٦].

ويقول - تعالى -: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

والتوبة والاستغفار للعزيز الغفار سببٌ لإغداق النِّعَم؛ فالله - تعالى - يقول: ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٢].

ويقول - تبارك وتعالى -: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

ولقد ورَد حول هذه الآية حديثان يَدُلاَّن على مضمونها:

فأمَّا الأوَّل: فهو الحديث الذي يرويه الصحابي الجليل أبو ذرٍّ - رضي الله تعالى عنه - قال: جعَل رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يتلو هذه الآية: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، قال: فجعل يردِّدها حتى نعست، فقال: ((يا أبا ذرّ، لو أنَّ الناس أخذوا بها لكفتهم)) .

وأمَّا الثاني: عن جابر بن عبدالله - رضي الله تعالى عنهما - قال: نزلت هذه الآية: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣] في رجلٍ من أشجع، كان فقيرًا، خفيف ذات اليد، كثير العِيال، فأتى رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فسأله، فقال له: ((اتَّقِ الله واصبر))، فرجع إلى أصحابه فقالوا: ما أعطاك رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم؟ فقال: ما أعطاني شيئًا، وقال لي: ((اتَّقِ الله واصبر))، فلم يلبث إلا يسيرًا، حتى جاء ابنٌ له بغَنَمٍ له كان العدوُّ أصابوه، فأتى رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فسأله عنها وأخبره خبرها، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((كلها))، فنزلت: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣][٣٩].

٥. ٣. حثُّ الناس على العمل والسعي لتطلب الرزق:

لقد حثَّ الشارع الحكيم على المُضِيِّ في التكسُّب والعمل، بل قرَن مَن يفعَل ذلك بِمَن يُجاهِد في سبيل الله لقتال الكفار؛ فقال - تعالى -: ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [المزمل: ٢٠]، بل حثَّ الشارع الحكيم على ذلك؛ فقال - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان، إلاَّ كان له به صدقة)). وقال - صلَّى الله عليه وسلَّم -:: ((ما أكل أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإنَّ نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده))[٤١].

وقد كان رسول الهدى - صلَّى الله عليه وسلَّم - خيرَ مثالٍ لتعليم الناس السعي في طلب الرزق، ولو وقَفنا عند هذا الحديث لوجدنا فيه الفوائد الكثيرة والدروس المهمة، فقد قال - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق به ويستغني به عن الناس، خيرٌ له من

أن يسأل رجلاً أعطاه أو منَعَه، ذلك بأنَّ اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى))؛ أخرجه مسلم، وحين جاءَه رجلٌ يطلب منه - عليه الصلاة والسلام - مالاً ويشكو إليه داء الفقر وقلَّة ذات اليد، صنع – عليه الصلاة السلام - موقفًا إيجابيًّا، وحوَّل فيه النِّقمة إلى نعمة؛ فعن أنس بن مالك أنَّ رجلاً من الأنصار أتى النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يسأله فقال: ((أمَا في بيتك شيء؟))، قال: بلى، حِلْس - الحلس: كساء يوضع على ظهر البعير أو يفرش في البيت تحت حر الثياب - نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب - والقعب: القدح - الإناء - نشرب فيه الماء، قال: ((ائتني بهما))، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وقال: ((مَن يشتري هذين؟))، قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، وقال: مَن يَزِيد على درهم؟ - مرتين أو ثلاثًا - قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين، وأعطاهما الأنصاري وقال: ((اشترِ بأحدهما طعامًا وانبذه إلى أهلك، واشترِ بالآخَر قدومًا فائتني به))، فشد رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - عودًا بيده ثم قال له: ((اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا))، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - : ((هذا خيرٌ لك من أن تجيء المسألةُ نكتةً في وجهِك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مُدقِع - والفقر المدقع: الشديد، وأصله من الدقعاء وهو التراب، ومعناه: الفقر الذي يُفضِي به إلى التراب؛ أي: لا يكون عنده ما يتقي به التراب - أو لذي غرم مفظع - والغرم المفظع: أن تلزمه الدية الفظيعة الفادحة، فتحل له الصدقة ويُعطَى من سهم الغارمين - أو لذي دم موجع - الدم الموجع: كناية عن الدية يتحمَّلها، فترهقه وتوجعه، فتحل له المسألة فيها)))[٤٢]، فهو هنا - عليه الصلاة السلام - صنع له البديل الأفضل، والطريقة المثلى لعلاج ما به من فقر وفاقة، وكما يقول المثل الدارج: "لا تطعمني كلَّ يوم سمكة، ولكن علمني كيف أصطاد".

مع أنَّه - عليه الصلاة والسلام - بإمكانه أن يقول له: يجب عليك ألاَّ تكثر السؤال، وينبغي عليك أن تعمل، ولا بدَّ أن تفكِّر في حلِّ مشكلتك، ويلزمك... إلى غير ذلك من العبارات بدون تقديم حلول واقعيَّة، وخطط عمليَّة.

٥. ٤.الزكاة :

لعظَمِ أهمية الزكاة فإنَّ من بين ستة آلاف آية في القرآن الكريم، اختصَّت اثنتان وثمانون منها بالزكاة، وذلك بخلاف أحاديث سيدنا رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم.

وهناك شروط ضرورية لضمان نجاح الزكاة في التطبيق المعاصر، وخصوصًا إذا قامت عليها مؤسسة، ومن الشروط المهمَّة لكي تنجح الزكاة في تحقيق أهدافها وآثارها:

١- الأخْذ بنظرية الموسعين في إيجاب الزكاة تحت الضوابط الشرعيَّة في هذه المسألة.

٢- تحصيل زكاة الأموال ظاهرة وباطنة.

٣- حسن الإدارة التي تُشرِف على جباية الزكاة وتوْزيعها.

٤- حسن التوزيع وقيامه على أسس سليمة، بحيث لا يُحرَم من الزكاة مَن يستحقُّها ويأخذها مَن لا يستحقها، أو يأخذ المستحق ما لا يُغنِي، أو يأخذ الأحسن حالاً، ويترك الأشد حاجة"[٤٣].

ولهذا فقد كان كبارُ الاقتصاديين المسلمين يدعون لعلاج مشكلة الفقر في المجتمعات الإسلاميَّة عن طريق نظريَّة الزكاة لعلاج الفقر، ومنهم الدكتور محمد شوقي الفنجري، وحين سأله أحد الصحافيين: البعض يرى في قصر علاج مشكلة الفقر على أموال الزكاة تشجيعًا للكسالى على عدم العمل، فما ردُّكم؟

فأجاب: "الإسلام لم يشجع أبدًا على الكسل وعدم العمل، بل حثَّنا على الإنتاج، ولكن ماذا يفعل مَن لا يقدر على العمل لأسباب خارجة عن إرادته كعجز أو شيخوخة؟ هذه هي الفئة التي تستحقُّ الزكاة، والتي يجب على كلِّ مسلم ثري أن يُعطِيَها من ماله ما يضمن لها حدَّ الكفاية؛ أي: المستوى اللائق للمعيشة، وليس مجرَّد الكفاف"[٤٤].

٥. ٥. ضرورة تفعيل شبكات التكافل الاجتماعي الأهليَّة:

إنَّ تحقيق مبدأ التكافُل الاجتماعي على مستوى المجتمع، وتحقيق هذه العدالة مع دعْم الجمعيات الخيرية الإسلامية لإغاثة الشعوب الفقيرة، وهي أكثر كفاءة من الشبكات الحكومية، وهو من أنجع الخطط لنشْر الإسلام، وإلا فسيكون الفقر والمرض هما الطُّعم لتلك الدول للوقوع في شباك التنصير.

٥. ٦. استِنهاض الأمَّة كلها للاستِفادة من مواردها:

ونقصد بذلك كلَّ الأمَّة؛ حكامًا ومحكومين، مثقَّفين وعامَّة، وذلك لئلاَّ يكون ديدن بعض الناس احتقار أو التقليل ممَّا لدى الأمَّة والدول المسلمة من كفاءات، فنحن لدينا مواد خام تجعلنا من أغنى الأغنياء، ولكن نحن في حاجةٍ لاستِغلال هذه الموارد.

٥. ٧. ضرورة التكامل الاقتصادي الإسلامي:

يلخِّص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك بقوله: "ما من أحدٍ إلاَّ وله في هذا المال حقٌّ، الرجل وحاجته، الرجل وبلاؤه (أي: عمله)"، ثم في قوله: "إني حريص على ألاَّ أدع حاجةً إلاَّ سددتها ما اتَّسَع بعضنا لبعض، فإذا عجزنا آسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف".

فالفقراء.. هم أحق جماعة في المجتمع الإنساني، بالرّعاية والحماية، من آفة الفقر التي تفتك بهم، وتغتال المعاني الإنسانية فيهم..

ومحاربة هذه الآفة- فوق أنه واجب إنساني تفرضه الأخوة الإنسانية، وتقتضيه لحمة النسب بين الإنسان والإنسان- هي حماية للأغنياء أنفسهم، وضمانة لأمنهم وسلامتهم هم، في أموالهم وأنفسهم، من عادية الفقراء عليهم، والتذرع بكل وسيلة ممكنة، يجد فيها الفقراء منفذا ينفذون منه إلى ما عند الأغنياء، ليشبعوا جوعتهم، وليدفعوا عن أنفسهم خطر الموت جوعا..

فالسّرقة، والنهب، والاغتصاب، والقتل الفردي أو الجماعي كل هذا وكثير غيره مما يتولّد عنه- هو مما يراه الجياع المحرمون - حقّا مشروعا لهم، في الدفاع عن النفس، واتقاء خطر الموت الذي يتهددهم . يقول الإمام الشافعي- رضي الله عنه-: «لا تشاور من ليس في بيته دقيق، فإنه مولّه العقل» . أي شارد العقل، مضطرب التفكير.

٦. المشكلة الثانية : البطالة .

يصنف الاسلام البطالة الى قسمين وهما :

١. بطالة المضطر : وتتمثل في اضطرار الناس الى البطالة مع وجود القدرة على العمل والرغبة فيه والحاجة اليه نتيجة لعدم وجود فرص العمل ، او الرغبة في العمل مع وجود مانع يتمثل في العجز او المرض يمنع صاحبه من إمكانية ممارسة العمل .

٢. بطالة الكسول : فالكسول هو الشخص القادر الذي يجد أن أبواب العمل مفتوحة أمامه لكنه مع هذا يتوانى عن الالتحاق به كسلاً ويعيش عالة على الناس .

٧ . طرق العلاج :

١. الدعوة الى العمل لكل قادر عليه ، بوصفه الاساس للتمايز بين الناس ، قال تعالى : ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) سورة فصلت (٣٣) ، فالعمل هو السبيل الى تعمير الكون وتحقيق التنمية والتقدم .

٢. إن الحاكم مسؤول عن تدبير عمل لكل قادر عليه . أما بطالة الكسول فإن الاسلام ينكرها ويحاسب عليها الدولة والفرد ، فالإسلام يحارب البطالة ولو كانت بحجة التفرغ للعبادة ، وعلى الدولة تأمين وسائل العمل للعمال بغض النظر عن درجة بساطتها وتعقيدها ، وقد خول الاسلام للحاكم أن يلزم اصحاب العمل بتشغيل العمال اذا امتنعوا عن ذلك ظلماً ، كما أجاز له إلزام العاملين الراغبين عن العمل الذي يجيدونه على ممارسة هذا العمل اذا اقتضت المصلحة لذلك .